باليت المدى

▪ ستار كاووش

شاي وجبن وحقائب

لم يدر بخلد (هندريكه) الهولندية بأن الحقيبة التي إشترتها من بريطانيا ستكون نواة لمتحف فريد وجميل، بل هو أهم وأكبر متحف للحقائب في العالم. نعم، لقد كانت تلك الحقيبة الدائرية التي تعود لسنة ١٨٢٠ أول خطوة في طريق الحقائب الطويل الذي قطعته هندريكه بمساعدة زوجها وإبنتها المختصة بتاريخ الفن.

لكي أصل المتحف، كان عليَّ ان أقطع ساحة ريمبرانت التي لاحَ تمثال صاحب الحراسة الليلية منتصباً وسطها. بدا لي مترقباً وكأنه ينتظر أحداً ما سيخرج بعد قليل من مقهى الأخوات الثلاث التي تلتمع واجهتها الزجاجية قبالته. تركت الساحة خلفي، حتى وصلت الى بناية المتحف التي كانت بالأصل بيتاً لمحافظ إمستردام في القرن السابع عشر، لأدخل وأفاجأ بعالم واسع من الحقائب ذات الاشكال والتفاصيل التي لا تخطر على بال أحد.

ثلاثة طوابق تشغلها خمسة آلاف حقيبة تعود الى خمسة قرون مضت. إنها رحلة مع الزمن، لكن عبرَ الحقائب، حيث يمتزج التاريخ مع الفن، والتصميم مع الحاجة، والإحتفال مع التقاليد، والثقافة مع روح الانسان المتجددة. توزعت الحقائب على مجموعات وضعت في فترينات زجاجية مضاءة بشكل جميل، ومصممة بطريقة تناسب نوعية هذا المتحف. يالهذه الحقائب التي تشبه فراشة ملونة تطير فوق حقل من الزهور، بل هي تشبه حقل الزهور نفسه. إنها أعمال فنية متكاملة. هنا منحتني الحقائب متعة النظر اليها، وجعلتني أتحسس ثقافة البلدان الذي جاءت منها. هنا عرفت كيف تعكس الحقائب روح العصر الذي عاشت فيه، وهي تتنقل بين الايدي والاماكن وتتنفس الهواء كإنها كائن حي. أنواع لا حصر لها من الحقائب، صُنِعَتْ على إمتداد سنوات طويلة، ولأغراض مختلفة، فهنا نرى الحقيبة التي تحملها المرأة معها أثناء الزواج، وهناك نشاهد الحقائب الصغيرة التي تعتبر حافظات للبورصة، وفي جانب آخر تطل علينا حقائب البريد، وايضاً حقائب المساء التي تكون جزءً من إكسسوارات المرأة التي ترتاد مطعماً او تقضي أمسية في مكان رومانسي. وهناك ايضاً حقائب الفقراء البسيطة التي تشبه العُليقات القماشية او الجلدية، وحقائب المدارس، وكذلك حقائب البريد، وغيرها الكثير من الحقائب التي شاعت في فترات مختلفة وبعيدة، وإستعملها الناس لأغراض مختلفة. ولا يخلو المتحف بالتأكيد من حقائب ذات تصاميم ومباركات عالمية شهيرة، مثل شانيل ولويس فيتون وهيرمز. وقد صُنفَت المجموعة التي يضمها هذا المتحف بإعتبارها أهم مجموعة حقائب في العالم، لأهميتها التاريخية وتنوعها وندرتها وعددها.

إضافة الى طوابق المتحف الثلاثة، هناك طابق آخر تحت الارض. شَغَلَهُ المتجر التابع للمتحف، وهنا يمكن شراء بعض الحقائب والمعدات وكذلك يمكن إقتناء الكتب التي تتحدث عن المتحف او عن الحقائب وتاريخها. والطابق الأول شغل ايضاً بعض القاعات ذات التصاميم الجميلة التي تعود للقرن السابع عشر، والتي يمكن تأجيرها من المتحف لغرض أقامة مراسيم الزواج أو بعض اللقاءات والاجتماعات المهمة.

بعد الانتهاء من التجوال بين موجودات المتحف وألوان حقائبه التي ستبقى فترة طويلة في الذاكرة، توجهتُ نحو المقهى التابع لنفس المكان، حيث يقدم المتحف (هاي تي) كتقليد دائم لزبائنه ومرتاديه. لا يمكن بأية حال من الأحوال تجاوز فكرة لذيذة كهذه، لذلك قضيتُ ساعة من الوقت تقريباً في المقهى. وقد تناوبت النادلة على تقديمها ثلاثة أقداح لأنواع مختلفة من الشاي لي، وصاحَبَ كل قدح، نوعاً مناسباً من الحلويات أو المعجنات أو الجبن. خرجت صحبة الكتاب الذي اشتريته، عائداً من جديد بإتجاه تمثال ريمبرانت، لأشكره على بساطة هذا البلد وجمال هذا الفن وروعة هذه التقاليد.

هنا نرى الحقيبة التي تحملها المرأة معها أثناء الزواج، وهناك نشاهد الحقائب الصغيرة التي تعتبر حافظات للبورصة، وفي جانب آخر تطل علينا حقائب البريد.

عمارة.. عمارة

"مدرسة الهندسة".. العمارة ومتغيراتها

ثمة مبانٍ يمنح وجودها صفة خاصة للمكان الذي تتواجد فيه، بل ويبقى تذكّر ذلك المكان واستدعاؤه في المخيلة، منوط بهيئة تلك المباني وبنوعية عمارتها. ومبنى "كلية الهندسة" في باب المعظم (سابقاً)، أحد نماذج تلك الابنية التي ظلت في مخيلة ثلاثة أجيال (او أكثر) من العراقيين، تُستذكر، عندما يرد الحديث عن تلك المنطقة المعروفة بغدادياً ... وعراقياً! فمن، يا ترى، لا يعرف مبنى "الهندسة"، ومن يا ترى، من شباب العراق وطلابه، من الشمال وحتى الجنوب، لم "يحلم" أن يدرس فيها، ويتخرج منها "مهندساً"؟!

د. خالد السلطاني

مبنى كلية الهندسة (١٩٣٦)

مبنى كلية الهندسة (١٩٣٦) سقف طارمة المدخل: قبل الترميم.. وبعده

وكان المبنى ("عمارة" المبنى، على وجه التحديد)، تعي جيداً ذلك الامر، وتدرك خصوصية "المكانة" ...والمكان اللذين ارتبطا بها (بتلك العمارة)، هي التي أضفت حضوراً لافتاً ومميزاً، و...حداثياً ايضاًعلى بيئة مباني تلك المنطقة "نصف المبنية"! وأمسى إيقاع أعمدتها الآجرية، ذات الارتفاع المزدوج، المحصورة بين كتلتين "فرتكاليتين"وبلون طابوقها الضارب الى الصفرة، بالاضافة الى مقدرة المعمار العالية في "تشغيل" مؤثر لخاصية الظل والضوء، الزاخرة بها حلول المبنى التصميمية، امست تثير انتباه الجميع واهتمامهم وعنايتهم به "فورمها" غير التقليدي، وغير المسبوق للابنية التعليمية.

ومبنى "كلية الهدسة"، الذي بدأ في تشييده عام ١٩٣٦، وصممه "جون بريان كوبر" (١٨٩٩ – ١٩٨٣) J.B. Cooper (وكان، وقتها، يشغل منصب <معمار الحكومة>)؛ لم يشيد لهذه الكلية، على وجه التحديد، وإنما بُنيّ ليكون مقرا "لمدرسة الهندسة"، التي يذكرنا د. عمر الفاروق الدملوجي عن سيرتها عندما ذكر ما يلي"... في سنة ١٩٢١ تأسست مدرسة الهندسة العراقية، وكانت تسمى، آن ذاك، كلية الري التدريبية لقبول طلاب عراقيين من خريجي المدارس الابتدائية وتدريبهم على الاعمال الهندسية البسيطة...تنقلت هذه المدرسة في عدة أماكن ببغداد، ففتحت في بناية الكرنتينة في باب المعظم، ثم انتقلت الى بناية مستأجرة في محلة الميدان، وفي حوالي سنة ١٩٢٧ فك ارتباطها من الري وادرجت ضمن أعمال وزارة المعارف، ونقلت الى جامعة آل البيت في الاعظمية، ورفع مستواها فاصبحت لا تقبل إلا طلابا من خريجي المتوسطات العراقية يدرسون فيها ثلاث سنوات، ثم انتقلت الى مزرعة الرستمية في سنة ١٩٣٥، انيطت ادارتها بوزارة المواصلات والاشغال، بعد سنين قليلة اصبحت الدراسة فيها اربع سنوات بعد الدراسة المتوسطة. بعد ذلك وافقت الحكومة على تأسيس مدرسة باسم "مدرسة الهندسة" ومرتبطة بوزارة المواصلات، واخذت لها مقرا في بناية في محلة السنك، وفي عام ١٩٣٨ انتقلت المدرسة الى البناية الجديدة في باب المعظم. وفي سنة ١٩٤٢ ارتؤي فتح كلية هندسة عراقية، والتي أمست بناية "مدرسة الهندسة: مقراً "للكلية الجديدة". وظلت كلية الهندسة تشغل هذا المبنى لحين انتقالها الى مجمع الجادرية في سنة ١٩٨٥.

لم أعثر على المخططات الأصلية للمشروع على الرغم من الجهد الاستثنائي الذي بذلته في سبيل الحصول عليها. ثمة لوحة مخططات، معروفة لدى كثير من المهتمين، عملها "مستر لمزدين"، أحد المدرسين المساعدين في الكلية وقتها (وكان من أصول هندية)، تعيد ما يمكن ان نعتبره مخططات كوبر الاصلية. أما تحديد تاريخ المبنى فيعود الى اللقاء الشخصي الذي تم بين المرحوم حازم نامق وبيني في ١٣/١٢/١٩٧٨؛ اذ يذكر الاستاذ نامق بأنه شاهد المراحل الاخيرة لتسقيف مبنى المدرسة إثر رجوعه من انكلترا مباشرة. وكان ذلك في أواخر سنة ١٩٣٦).

إن شكل المخطط العام للمدرسة يشبه حرف (T) اللاتيني تقريباً؛ أما صفة التكوين المعماري لها، فهو مبني على الاسلوب التماثلي. يعتمد "كوبر" على نظام الممر الداخلي Central Corridor System ، كنوع من تنطيق مفردات ذلك التكوين. ويثبت مدخل المدرسة الرئيس والقاعة الرئيسية على محوره العرضي. (يستخدم "كوبر" القاعة هنا، كمطعم لطلاب المدرسة). تتكون المدرسة من طابقين: تشغل الادارة وقاعات المحاضرات، وكذلك المطعم مع المطبخ الطابق الارضي، في حين خصص الطابق الأعلى لغرف وردهات القسم الداخلي التابع لطلاب المدرسة. وثمة رواق مسقف يمتد أمام جزء من الواجهة الامامية "الغربية" وهناك، سلّمان يقعان في نهاية الممر وبصورة عمودية عليه؛ وهذان السلمان يبرزان قليلاً عن كتلة المبنى الاساسية.

مبنى كلية الهندسة (١٩٣٦) الواجهة الرئيسية

ان الامتداد الافقي لتكوين واجهة المبنى (يبلغ طول المدرسة (٨٥) متراً وبارتفاع (٩) أمتار تقريبا) – ان هذا الامتداد يتوازن ويتعادل مع ايقاع أعمدة الرواق الشاقولية وكذلك مع فتحات النوافذ ذات الاشكال الطويلة؛ فضلاً عن كتلتي السلمين العموديتين الواقعتين على هذه الواجهة. (تجدر الاشارة بأن ثمة اضافات وتغيرات عديدة طرأت على شكل المبنى في أوقات مختلفة. اذ مد الجزء الخلفي بامتداد القسم الدراسي الامامي؛ واوصل من الجانبين، الامر الذي كوّن فضاءين مغلقين عن طرفي الجزء الايمن الخلفي (القسم الجنوبي- الشرقي). وفي الفترة الاخيرة انفصل القسم الداخلي عن مبنى الكلية وخصصت الفضاءات التي كان يشغلها الى قاعات محاضرات ومختبرات، ثم انتقل المطعم والمطبخ من هذا المبنى، نهائياً، الى مكان آخر داخل مجمع الكلية السابق).

يعتمد القوام الانشائي لمدرسة الهندسة ، كغيره من الابنية التي أنشئت في هذه الفترة، على نظام الجدران الحاملة Bearing Walls أما التسقيف فأنه وفق أسلوب العقادة الآجرية مع المقاطع الحديدية؛ وبغية تسقيف فضاءات كبيرة كغرف المحاضرات وردهات النوم الواسعة فان المصمم يلجأ الى ذات الاسلوب المتبع في جامعة آل البيت وغيرها من المباني التي نفذت آنذاك، أي تقسيم الفضاء الى أجزاء ذات أبعاد قصيرة نوعاً ما بواسطة مقاطع حديدية ضخمة "تستعمل عادة في هذه الحالة "شيلمانتان" الواحدة بجانب الاخرى"؛ ومن ثم يتم التسقيف بالطريقة الاعتيادية. والجدير بالذكر ان المادة الانشائية الرئيسية المستعملة هي الآجر مع مونة الجص. واستعملت الخرسانة المسلحة بصورة مقننة في القوام الانشائي للمبنى "في الجسر الرابط فوق الرواق، وفي الاسس وفي بعض المناطق الاخرى.

ورغم "تقليدية" مخطط المبنى الكلاسيكي، فان المعمار استطاع ان يعّول على خصائص مقاربته المفضلة، مقاربة "الفنون والحرف" Arts & Crafts ، الشائعة بريطانيا، فجاءت مفردات التصميم واضحة جداً، وبسيطة جداً تتسم بتقليدية اثيرة، لكن الأهم فيها هو حذاقة التنفيذ وبراعة التفصيل الموظف بعناية في مبنى المدرسة، ليرتقي المعمار بهذا العمل "الكلاسيكي" الى مصاف المباني المميزة في جغرافية تلك المنطقة. ولتنال عمارة "الكلية" الحظوة والاعجاب من طالباتها وطلابها الدارسين فيها، على مدى سنين كثيرة، وكذلك من "الجمهور" المار بمحاذاتها، والمعتز بشكلها "الجديد" وقتذاك! لكن ما يحز في القلب ويؤلمه، هي نوعية "الترميم" واعمال الصيانة المشينة التي اجريت على المبنى مؤخرا، وخصوصا "لبخ" "نقشة" سقف طارمة المدخل الرئيس الذي اشتهر باسلوب رصف طابوقه المتقن (او ما يطلق عليه بـ <الحصيري>)، محيلة بذلك جماليات تلك النقشة الى "بذاءة" انشائية، بلبخها بمونة الاسمنت بطريقة ساذجة، وغير مهنية اطلاقاً.

شغل "جون بريان كوبر" معمار المبنى البريطاني (المولود في ٢٥ أيار ١٨٩٩، والمتوفى في ١٩ كانون الاول ١٩٨٣) منصب معمار الحكومة في دائرة المباني العامة، عام ١٩٣٥. وصمم الكثير من المباني المهمة في بغداد، بضمنها، مبنى "الضريح الملكي" بالاعظمية (١٩٣٥)، وكلية الهندسة (١٩٣٦)، في باب المعظم، ودار المعلمين الابتدائية والقسم الداخلي فيها الاعظمية (١٩٣٧)، بالاضافة الى تصميمه بيوت سكن النخبة البغدادية، فقد صمم دارة نوري السعيد في الوزيرية (١٩٣٦)، ودارة نصرت الفارسي (١٩٣٧) في الوزيرية ايضا. ثم ترك العراق في سنة ١٩٣٧، واستدعي في الخمسينيت من قبل مجلس الاعمار لتصميم اهم مبنيين نفذا وقتذاك، وهما " البلاط الملكي" في كرادة مريم <القصر الجمهوري لاحقاً> (١٩٥١-١٩٥٨)، ومبنى "مجلس الامة" <المجلس الوطني لاحقاً> في كرادة مريم أيضا (١٩٥١-١٩٥٨). بالاضافة الى تصميمه مبنى مصرف أهلي في شارع المصارف ببغداد بالخمسينيات.

فلسفة التجريد وعمق التحكم بحالات الاشكال المختلفة

ضحى عبدالرؤوف الملا

تجمع الفنانة التشكيلية "منى بومونت"(mona beaumont) المفاهيم التجريدية، وتربطها بالحقيقة والمادة والناتج عنهما، مما يساعدها في تكوين السمات الفنية المتصلة تشكيليا بالنسب الدقيقة في اظهار معنى الخطوط والفراغات، لاستخراج الباطن الحسي بالتفكيك الفعلي المتكيف مع واقع المساحة، فالاسقاطات المؤثرة بشكل كبير على خصائص الحركة تؤدي الى زيادة مدى قوة الانعكاسات الداخلية والخارجية على الخطوط، وبتبسيط منطقي يعتمد على الاحتكاك البصري، وبتفاوت يمنح القيمة الجمالية في اعمالها فلسفة التجريد وعمق التحكم بحالات الاشكال المختلفة.

لابراز مميزاتها من حيث الطول والعرض واللون، ونقاط وجود كل منهما اختزاليا ان صح التعبير، تاركة للتجاذب الذهني فسحة من الاستنتاجات والايحاءات المثيرة للدهشة، والغنية تخيليا بالاشكال ومدلولها الوظيفي للاشياء المنبثقة عن الشكل الانساني الذي جردته ومنحته صياغة تمثل الظاهر الباطن وبالعكس. متمسكة بالمقومات القوية للخط ومعناه في اتجاهاته وتوازناته في حال تم تجريده او تفكيكه ووضعه في المكان المناسب. فهل تحاول الفنانة "منى بومونت" التمرد على شخصية الانسان وتجريدها من الزيف لتضعنا امام الحقائق من خلال لوحة توازنت فيها الرؤية الفنية التشكيلية؟.

تتجرد الفنانة "منى بومونت" من الثانويات، وتلتزم بالأسس الجوهرية للخط حيث التبصر بالفهم والوعي، واستنباط مسألة التفكيك والتعرية. لتكشف عن جزئيات المادة وتشكلاتها، وعلائق الحركة المتخذة من الفراغات اشكالها المختلفة، وبتحليل بصري يتشابك مع الذهن من خلال النقاط الثابتة في لوحاتها بشكل يحتوي عدة خطوط وبمقاييس انقلابية . مما يؤدي الى تصحيح الرؤية الانسانية لما تميل اليه الخطوط من انسجام وتآلف وتضاد، وتناغم وايقاعات فردية ذات منهجية تؤسس لطروحات وجدليات تصطبغ بالتجريد والتفكيك والشكل، والانسلاخ عن المادة والتقارب الحسي بين الوعي والادراك والنفي. لتظهر منطقية الاشكال التي توازنها مع بعضها البعض، وبفلسفة تسعى الى التأثير البصري على المنطق التأويلي للفكرة وما تحمله الزوايا من تغيرات بحيث كيفما وضعنا اللوحة نجد انها تمتلك النسب الصحيحة جيومتريا، وبدقة متناهية تنبع من مزاجية تنطبق على الظل والنور والفراغات معا . فهل تزخر الدلالات برياضيات تتسم بمرونةالحركة رغم الاختزال الشديد للشكل الهندسي لتحقيق الانسياب في الرؤية وتحولاتها دون مبالغات لونية او تمرد على التجريد بالتفكيك الاختزالي في النسب والاشكال وبتضاد بين شكلين ولونين وتسطيح وعمق. فهل تحاول " منى بومونت " انتزاع الشخصية الانسانية وسلخها عن المادة حسيا وبتوائم مع الجوهر؟

معادلة شديدة الحساسية تنتجها "منى بومونت" في رسوماتها كنقطة انطلاق تمثل البنية المعرفية لفهم اللوحة أو لفهم ذاتها من خلال التوافق بين شكلين او بين عدة تراكيب هي لثلاثية او اكثر ، كتحسينات تضفي جمالية على الاختزالات التي تقوم بها، كنوع من ابراز الاراء والافكار في الوجود من خلال آلية تتضح فيها فلسفتها عبرالاسلوب الذي تنتهجه مبتعدة عن الشكل المطلق بالجزئي او بتجزئته الى كتل يمكن نحتها. لتكون كدراسة لالية التجريد والتفكيك، ونقطة الاتصال والانفصال بينهما . ترتبط الالوان في لوحاتها بالحالة العقلانية قبل العاطفية برغم ان اللون هو حالة عاطفية وجدانية. الا انه في لوحاته يمثل استكمالا للخطوط،، بتقاطعات تحقق جمالية تهيمن على التصنيفات المتنوعة في اللوحة للتحرر من المادة والخروج عنها بالمزيد من اشكال التواصل المختلفة لازالة هاجس الامتلاء في اللوحة التشكيلية بشكل عام.

تؤسس الفنانة "منى بومونت " لثلاثية التنظيم والكيان والسمة، وبتدريج ملموس بغض النظر عن البناء البصري ومجازيته الفكرية. مما يمثل الاتجاهات الفكرية في الخطوط، ويشكل حيوي مقارن بصياغة ذات قوانين هندسية مسكونة بنزعة النقطة وحركتها ومؤثراتها على التراكيب التكوينية التي تطلق منها الاشياء وتعود اليها، وبشكل اساسي ومتكيف مع التقسيمات الجيومترية والصياغة الشيمائية في لوحة ذات نسق فكري يرعى الحس الفني التشكيلي وابعاده، بتكامل وتماسك، وبوعي غامض وثابت يتراوح بين اللغة والتشكيل والهندسة، ومجازاتها الحسية الملامسة للتجريد والتفكيك وقدرة المزج بينهما فنيا ضمن العوامل البنيوية تشكيليا . فهل من تطلعات للفنانة "منى بومونت" لضبط الشخصية الانسانية من خلال ذهنية الجوهر وقوة التحكم بالشكل؟

توحي بنية اللوحة ببساطة الشكل . الا انها مركبة هندسيا بأسلوب ذهني بحت يعتمد على المتناقضات الرياضية والهندسية، وبمستويات ذات مفارقات نفتح فضاءات تخيلية، وكانها تستنكر اللا متناهي، وانما بمفهومي المحدود واللامحدود عبر مستقيمات ومنحنيات والتواءات منطقية بناءة في مسارها التشكيلي المختزن لصفة الاختلاف والائتلاف، والعلاقات الثنائية واهميتها في ترجمة فيزيائية رياضية للشكل، وعناصر انعكاس الحركة على كل ذلك ، فهل للخطوط في اعمالها نظرة انسانية تجردها من المادة وتتجه بها نحو الحركة الحسية؟

لا يمكن اغفال الدور التحليلي للخطوط في أعمال الفنانة " منى بومونت " وتضافر العناصر لتكوين حركة متناقضات مؤثرة في الاختلاف الطبيعي بين الثنائيات والجزئيات، بتناسب ايقاعي ذي فهم لمعطيات حركة الخطوط والتلاعب بها لخلق المعنى والارتقاء بجوهر العمل الفني نحو الادراك والتماثل والتضاد والتحليل ليتسم بالنسب المثالية وبطابع فكري جمالي ذي اسس فنية.

أعمال الفنانة التشكيلية "منى بومونت" من مجموعة متحف فرحات